مجلة العلوم والبحوث الإسلامية
SUST Journal of Islamic science and Research
Available at:http://scientific-journal.sustech.edu/

أثر المعاهدات النبوية المتعلقة بحسن الجوار في علاقات الدولة الاسلامية (دروس وعبر)

عبدالفتاح محمد أبوبكر عبدالكريم البلعسي*

المستخلص

تكمن أهمية هذه الورقة أنها تدرس أثر المعاهدات النبوية المتعلقة بحسن الجوار واستنباط الدروس والعبر المستفادة منها، وكذلك أثرها في العلاقات مع الملل والقبائل، والتي تهدف إلى توضيح سماحة الإسلام في التعايش مع الآخرين وإبراز الصورة الحقيقية في حسن تعامل المسلمين مع جيرانهم من الأفراد والقبائل، وقد بين الباحث في المبحث الأول تعريف حسن الجوار ونصوص المعاهدات المتعلقة بحسن الجوار وفي المبحث الثاني الدروس والعبر المستفادة من حسن الجوار، المتمثلة بتقوية الروابط الاخوية بين الجيران والتعايش السلمي مع غير المسلمين وضمان حرية العقيدة وممارسة الشعائر الدينية لغير المسلمين، ومراعاة حقوق الجار والتناصح والمواطنة المتساوية، وفي المبحث الثالث أثر المعاهدات في إقامة علاقات حسن جوار مع القبائل والدول ليعيش المجتمع بأمان وسلام، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي وتوصل إلى بعض النتائج منها، أن الرسول ﷺ قد عقد عدداً من معاهدات حسن الجوار مع بعض القبائل وذلك لتامين الدولة الإسلامية، أن المسلمين تعايشوا مع جيرانهم من اليهود والمشركين، وضمنوا لهم حرية العقيدة وممارسة الشعائر الدينية؛ واعتبرهم مواطنين من سكان الدولة الإسلامية ولم يتعرضوا لأي تمييز، وأقام علاقات حسن جوار مع اليهود وغيرهم من القبائل والدول الأخرى، كما يوصي الباحث بضرورة إجراء مزيد من الدراسات للمعاهدات النبوية للاستفادة منها في حياة المسلمين، تطبيق مبدأ حسن الجوار بين أفراد المجتمع المسلم مع غيرهم من الدول والشعوب لوقف الحروب والصراعات.

Abstract

This paper is significant in that it teaches the impact of prophetic treaties concerning the good neighborhood extracting the lessons behind that and its impact on tribes and denominations relationships which aims to clarify the lenience of Islam in coexistence with others demonstrating the real picture of Muslims' good behaviors with Neighbouring individuals and tribes. I have explained in the first part the definition of good neighborhood and the treaties' texts of good neighborhood. The second part addresses the lessons achieved through good neighborhood represented by strengthening the brotherly relationships of neighborhoods and the peaceful coexistence with non Muslims; securing the rights of beliefs and practicing the rituals of non Muslims. Besides concerning the neighbors' rights، counsels and equal citizenships. The third part addresses the impact of treaties on setting up the good neighborhood relations with tribes and countries to live peacefully in the society. The researcher uses the descriptive analytic approach to reach the expected outcomes such as: the messenger PBUH held some treaties of good neighborhood with some tribes for securing the Islamic nation. Muslims coexisted peacefully with Jews and gentiles. The prophet Mohamed PBUH granted them the right of neighborhood، securing their rights and patronage as long as they obey the covenant. He secured their religious rights and rituals considering them equal to the Islamic nations people، without any discrimination. He also set up good neighborhood

* جامعة الجزيرة- كلية التربية- حنتوب-بريد الكتروني: abdulfattahalblassi@gmail.com

relations with Jews as well as other tribes and countries. The researcher recommends more studies on the prophet Mohammed'sPBUH treaties for its value in Muslims life; this implies practicing the principle of good neighborhood between Muslims community and non Muslim nations and people to stop wars and conflicts.

الكلمات المفتاحية

الملل و القبائل – المجاورة – التعايش

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعين به والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد بن عبد الله ﷺ، وبعد،فإن الدين الإسلامي دين السلام والمحبة وهو شامل لكل مناحي الحياة، فلم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا بين طريقة التعامل معها، فقد كانت سيرة النبي ﷺ تطبيقاً عمليا للتعامل مع الآخرين من الدول والقبائل والمجتمعات الأخرى، وكان تعامله بصوة فريدة في التعايش السلمي وحسن الجوار، وفي العلاقات السياسية مع القبائل والدول المجاورة ، فقد أرسى قواعد التعايش مع الاخرين، لذلك عقد النبي ﷺ عدداً من المعاهدات المتعلقة بحسن الجوار مع عدد من القبائل، أراد بها تنظيم الحياة العامة والخاصة بين المسلمين أنفسهم ومن جاورهم من القبائل والملل داخل المدينة المنورة وخارجها، وفي هذه الورقة – أثر معاهدات النبوية المتعلقة بحسن الجوار في علاقة الدولة الإسلامية مع الملل والقبائل (دروس وعبر)– سنطرق إلى أهم تلك المعاهدات النبوية ونستخلص منها الدروس والعبر لما لها من أهمية في ظل الأوضاع الشائكة في المنطقة من حروب ونزاعات محلية وإقليمية، وكذلك نورد اثر تلك المعاهدات في علاقات الدولة الإسلامية مع جيرانها، وذلك لإظهار كمال الدين الإسلامي، وحسن تعامل النبي ﷺ وكيف وأنه قد سبق الامم في التعايش والسلمي وحسن الجوار.

مشكلة الدراسة

تحاول هذه الدراسة إبراز مظاهر مايعانيه المجتمع المسلم من مشاكل سوء الجوار وحروب ومشاحنات وعداوات بين أفراد المجتمع الواحد وبين الدول المتجاورة

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في إبراز أهمية معاهدات حسن الجوار في علاقات الدولة الإسلامية وكيف تعامل النبيﷺ مع المجتمع داخل وخارج المدينة المنورة، وكيفية الاستفادة منها في الوقت الحاضر، وتوضيح الصورة المشوهة عن الإسلام في أذهان الأخرين.

أهداف الدراسة

- إبراز الصورة الحقيقية في حسن تعامل المسلمين مع جيرانهم من الافراد والدول.
- توضيح سماحة الإسلام في التعايش مع الأخرين.

الدراسات السابقة

1- المعاهدات النبوية، عبدالسميع عبدالباري الصائغ، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، 1979م ،ذكر فيها الباحث نصوص المعاهدات النبوية وذكر بنودها ونتائجها، بينما دراستي كانت عن الدروس والعبر وأثر معاهدات النبي المتعلقة بحسن الجوار في علاقة الدولة الإسلامية مع الملل والقبائل.

2- أحكام المعاهدات في الشريعة الإسلامية،تحليل المعاهدات المبرمة في عصر الرسول ﷺ، أ. د. خالد رشيد الجميلي، مركز البحوث والدراسات، العراق، 2008م، ذكر فيها المعاهدات النبوية وشرح بنودها، بينما دراستي عن الدروس والعبر في معاهدات حسن الجوار.

3- الأحكام الفقهية في المعاهدات النبوية، نموذج في التطبيق، هاجر محمود عبدالمجيد النوباني، رسالة ماجستير في الشريعة والفقه، جامعة مؤتة، الأردن، 2006م، ذكر فيها الاحكام الفقهية من المعاهدات

النبوية، بينما دراستي عن الدروس والعبر في معاهدات حسن الجوار.

نصوص المعاهدات النبوية المتعلقة بحسن الجوار.

يعد حسن الجوار من المبادئ المهمة التي حث عليها الدين الإسلامي الحنيف، ودعا إلى تطبيقها في التعامل مع كل الجيران سواء كانوا أفراداً أو قبائل أو دولاً، وأكد على ضرورة احترام الجيران وعدم إيذائهم، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، وتطبيقاً لذلك المبدأ عقد الرسول ﷺ عدداً من المعاهدات تتعلق بحسن الجوار مع القبائل والملل، التزم من خلالها المسلمون بحسن الجوار والقبول بالآخر والتعايش معه، ليعيش الناس بسلام وأمان، وفي هذا المبحث سنذكر بعض المعاهدات المتعلقة بحسن الجوار وبعض الدروس والعبر المستفادة منها.

أولاً: تعريف حسن الجوار: لغةً: الجوار: المجاورة والجار الذي يجاورك[1].

اصطلاحاً: هو من جاورك جواراً شرعياً سواء كان مسلماً أو كافراً، براً أو فاجراً، صديقاً أو عدواً، محسناً أو مسيئاً، نافعاً أو ضاراً، قريباً أو أجنبياً، بلدياً أو غريباً[2].

معاهدة حسن الجوار: معاهدة اتفاق وصداقة بين دولتين متجاورتين أو أكثر[3].

نص معاهدة المدينة

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هذا كتاب من محمد النبي ﷺ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم، فلحق بهم، وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون، ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، ... وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم، وإن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم، وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا، وإن المؤمنين يبيء[4] بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه، وإنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا، ولا يحول دونه على مؤمن، وإنه من اعتبط[5] مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول، وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه، وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر، أن ينصر محدثا ولا يؤويه، وأنه من نصره أو آواه، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل[6]، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء، فإن مرده إلى الله عز وجل، وإلى محمد ﷺ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، ... وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله عز وجل، وإلى محمد رسول الله ﷺ، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره[7] ، وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب، وإذا دعوا

([1]) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، (1414ه)، لسان العرب، ط، ج3،4دار صادر، بيروت، ص 153.

([2]) الزلفي، محمد بن إبراهيم الحمد، (1417ه) التقصير في حقوق الجار، ص56. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، (1379ه)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقمه، محمد فؤاد عبد الباقي،ج10، دار المعرفة ، بيروت، ص 441.

([3]) مختار، أحمد، (2008م)، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج1، عالم الكتب، ص 419، مصطفى، إبراهيم، (د.ت) المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، ص 146.

([4]) يبيء هو: من البواء أي المساواة، انظر، السهلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، (2000م) الروض الأنف، المحقق: عمر عبد السلام، ط1، ج4، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص 176.

([5]) اعتبط: قتله ظلماً. أنظر، السهلي، الروض الأنف، مرجع السابق ص348.

([6]) الصرف: التوبة، العدل: الفدية، أي لا يقبلان منه. ابن سويلم، محمد، (1427ه) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، ج2، ط8، دار القلم ، دمشق، ص58.

([7]) أبره: فمعناه أنه أجابه إلى ما أقسم عليه، أنظر، الزبيدي، محمد بن محمد، (1414ه) تاج العروس، ج10، دار الهداية، ص 155.

إلى صلح يصالحونه ويلبسونه، فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب في الدين، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم، وإن يهود الأوس، مواليهم وأنفسهم، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة،...وإن البر دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم، وإنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم أو أثم، وإن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ[8].

معاهدة أهل نجران

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. هذا ما كتب محمد النبي رسول الله ﷺ، لنجران إذ كان عليهم حكمه في كل ثمرة وكل صفراء وبيضاء وسوداء ورقيق، وأفضل عليهم، وترك ذلك كله على ألفي حلة من حلل الأواقي في كل رجب ألف حلة، وفي كل صفر ألف حلة، ومع كل حلة أوقية من الفضة فما زادت على الخراج أو نقصت عن الأواقي فبالحساب، وما قضوا من دروع أو خيل أو ركاب أو عروض أخذ منهم بالحساب، وعلى نجران مؤنة رسلي، ومتعتهم ما بين عشرين يوما فدونه، ولا تحبس رسلي فوق شهر، وعليهم عارية ثلاثين درعا وثلاثين فرسا وثلاثين بعيرا إذا كان كيد ومعرة، وما هلك مما أعاروا رسلي من دروع أو خيل أو ركاب فهو ضمان على رسلي حتى يؤدوه إليهم، ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي على أنفسهم وملتهم وأرضيهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وأن لا يغيروا مما كانوا عليه ولا يغير حق من حقوقهم ولا ملتهم، ولا يغيروا أسقف من اسقفيته ولا راهب من رهبانيته، ولا واقها من وقيهاه[9]، وكلما تحت أيديهم من قليل أو كثير، وليس عليهم دنية ولا دم جاهلية ولا يحشرون ولا يعشرون ولا يطأ أرضهم جيش، ومن سأل فيهم حقا فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين بنجران، ومن أكل ربا من ذي قبل فذمتي منه بريئة، ولا يؤخذ منهم رجل بظلم آخر، وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله عز وجل وذمة محمد رسول الله ﷺ أبدا حتى يأتي الله بأمره، ما نصحوا وأصلحوا فيما عليهم غير مثقلين بظلم"[10].

معاهدة أهل مقنا

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: من محمد رسول اللهﷺ إلى بني حبيبة، وأهل مقنا، سلم أنتم فإنه أنزل على أنكم راجعون إلى قريتكم، فإذا جاءكم كتابي هذا فإنكم آمنون ولكم ذمة الله وذمة رسوله، وإن رسول اللهﷺ قد غفر لكم ذنوبكم، وكل دم اتبعتم به لا شريك لكم في قريتكم إلا رسول الله، أو رسول اللهﷺ، وأنه لا ظلم عليه ولا عدوان، وأن رسول الله ﷺيجيركم مما يجير منه نفسه فإن لرسول الله ﷺبزتكم ورقيقكم والكراع والحلقة إلا ما عفا عنه رسول اللهﷺ، أو رسول الله، وإن عليكم بعد ذلك ربع ما أخرجت نخيلكم وربع ما صادت عرككم، وربع ما اغتزلت نساؤكم. وإنكم قد ثريتم بعد ذلكم ورفعكم رسول الله ﷺعن كل جزية وسخرة، فإن سمعتم وأطعتم فعلى رسول الله أن يكرم كريمكم ويعفو عن مسيئكم، ومن ائتمر في بني حبيبة، وأهل مقنا من المسلمين خيرا فهو خير له، ومن أطلعهم بشر فهو شر له، وليس عليكم أمير إلا من أنفسكم أو من أهل بيت رسول الله ﷺ[11].

([8]) ابن هشام، عبد الملك بن هشام الحميري، (1955م) السيرة النبوية، تحقيق، مصطفى السقا، ج1، ط2، مطبعة مصطفى الحلبي بمصر، ص501.

([9]) وقيهاه: الواقه: ولي العهد بلغتهم،وقيل: قيم البيعة التي فيها صليب النصارى، البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، (1405هـ) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ط1، ص5، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 389، ،جواد، علي، (2001م)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط4، ج12، دار الساقي، ص 217.

([10]) البيهقي، دلائل النبوة للبيهقي، مرجع سابق، ص 389.

([11]) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، (1988م) فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ص 67.

معاهدة بني ضمرة:

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. هذا كتاب من محمد رسول اللهﷺ لبني ضمرة بأنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم، وأن لهم النصرة على من رامهم إلا أن يحاربوا في دين الله ما بل بحر صوفة[12]. وأن النبي ﷺإذا دعاهم لنصره أجابوه، عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله، ولهم النصر على من بر منهم واتقى"[13].

ثانياً: الدروس والعبر المستفادة من معاهدات حسن الجوار.

تضمنت معاهدات النبي ﷺ، المتعلقة بحسن الجوار، العديد من الدروس والعبر والفوائد التي يمكن أن يستفاد منها في حسن التعامل مع الجيران، على المستوى الفردي بين أفراد المجتمع، أو على المستوى الحكومي بين الدول المتجاورة.

ومن هذه الدروس والعبر والفوائد ما يلي:

1-**صلة الجوار وتوثيق الروابط الأخوية:** جعلت معاهدة المدينة صلة الجوار مبدأ مهماً لتوثيق الروابط الأخوية بين سكان المدينة، وتقوية العلاقات بين الجيران إيماناً منها بضرورة التقريب بين الأسر بكل وسيلة من وسائل التقارب ليعيش الإنسان إلى جانب أخية بسلام، حيث جعل الإسلام إكرام الجار من علامات الإيمان قال رسول الله ﷺ " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره" [14]، وجاء في نص الوثيقة، " أن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم"[15]،حيث قصدت المعاهدة بالجار، كل المتساكنين في المجتمع المدني الجديد دون استثناء لأي طرف من الأطراف المتعاقدة على الطرف الآخر، كما يعتبر هذا البند دعوة إلى التحرر من رواسب الماضي الجاهلي ومخلفاته، ودعوة حضارية إلى التكافل الاجتماعي المقيد في حدود مقتضيات القانون، قال تعالى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾[16].

و قال رسول الله ﷺ: " ما زال يوصيني جبريل بالجار حتى ظننت أنه سيورثه"[17]، ولا شك أن جار المرء هو أقرب الناس إليه بعد عائلته وأهله، كما أن تقوية العلاقة بين الجيران تعد من أهم وسائل الترابط بين الأفراد، فما أحوجنا اليوم إلى تقوية الروابط مع جيراننا، من الدول العربية والإسلامية، في ظل الأوضاع التي تمر بها أمتنا الإسلامية من خلافات وتنازعات بين الأشقاء.

2- **تقوية أواصر الأخوة الإنسانية**، أكدت المعاهدة على إيجاد مجتمع موحد، تربطه أواصر الأخوة الإنسانية، والمودة والرحمة، والعدالة الاجتماعية في الشؤون العامة للدولة الإسلامية الجديدة، وقد شدد على هذه المعاني السامية، قول رسول اللهﷺ:"لا يشبع الرجل دون جاره "[18]، وذلك لحماية النسيج الاجتماعي وحمايته من الضعف والوهن، وليكون المجتمع كالجسد الواحد، وبهذا تتحقق الألفة والمودة بين الجيران، وينعم

([12]) صوف البحر: شيء على شكل الصوف الحيواني، واحدته، صوفة يقال: لا آتيك ما بل بحر صوفة. أو ما بل البحر صوفة. يريد لا آتيك أبدا. ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص200.

([13]) الشامي، محمد بن يوسف، (1993م)، سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، ط1، ج4، دار الكتب العلمية، لبنان، ص14.

([14]) البخاري، محمد بن إسماعيل، (1422ه) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه، المحقق: محمد زهير، ط1، في كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء، رقم 5185 (7/ 26)، مسلم، مسلم بن حجاج، المسند الصحيح المختصر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، في كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، رقم 75 ، ص 68.

([15]) ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق ، ص 501.

([16]) سورة النساء، الآية ٣٦.

([17]) البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر، في كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار، رقم6014 (8/ 10)، ومسلم، المسند الصحيح المختصر، كتاب فضائل الصحابة، باب الوصية بالجار والإحسان إليه، رقم 2625 (4/ 2025).

([18]) ابن حنبل، أحمد بن محمد (2001 م) مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، ط1، ج1، مؤسسة الرسال، ص 448.

الوطن بالأمن والاستقرار،كما بين أن للجار غير المسلم حقا ثابتا في الإسلام، هو حق الجوار.

3- **ضرورة التناصح بين المتساكنين**، ذكرت المعاهدة مبدأ النصيحة بين المتساكنين، قال تعالى:﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[19]، وقد نصت المعاهدة على "أن الله جار لمن بر واتقى ومحمد رسول اللهﷺ"[20]، أي أن الله يحمي من يبر ويتقي ويتخلق بالأخلاق الفاضلة، فالأعمال الصالحة كالبر والتقوى يوصل العبد إلى رضاء الله وتقواه والفوز بسعادة الدارين، فمن كان عمله لله فإن الله يكون جاراً له، والنبي محمد ﷺيكون جاراً له أيضاً، حيث ذكر في المعاهدة ،" أن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم"[21].

4- **المواطنة مع الطوائف في المدينة**، من أجل تحقيق مبدأ حسن الجوار، والمواطنة مع جميع الطوائف في المدينة، بمختلف ديانتهم، المسلمون من المهاجرين والانصار وأهل الكتاب من اليهود وبقايا مشركي المدينة، اعتبرت المعاهدة كل سكان المدينة مواطنين، أو مايطلق عليهم مسمى رعايا الدولة الإسلامية، وذلك لرعاية جميع الحقوق المشروعة، لذلك اعتبرت المعاهدة اليهود جزءا من مواطني الدولة الإسلامية، وعنصرًا من عناصرها، جاء في بنود المعاهدة "وأن من تبعنا من يهود، فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين، ولا متناصر عليهم"[22] ثم زاد هذا الحكم إيضاحا في ما ذكرت المعاهدة، "وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ..."[23]، وبهذا نرى أن الإسلام قد اعتبر أهل الكتاب الذين يعيشون في أرجائه مواطنين، وأنهم أمة مع المؤمنين، ما داموا قائمين بالواجبات المترتبة عليهم ملتزمين بالعهد[24].

5- **منح أهل مقنا حق الجوار والحماية**، منح النبيﷺ القبائل المعاهدة حق الجوار وضمن لهم الحماية من أي اعتداء، ففي معاهدة أهل مقنا، منحهم رسول الله ﷺ عهداً أن يكون جاراً لهم ويمنحهم حق الجوار ويتمتع المستجير بما يتمتع به المجير من عدم اعتداء أو إضرار أو إهانة، وأن أي اعتداء عليهم يعد اعتداء على المسلمين، لأن رسول اللهﷺ قد منحهم حق الجوار، كما ضمن للمعاهدين أن على الدولة الإسلامية أن تمنع عنهم كل خطر، وحمايتهم من أي عدوان داخلي أو خارجي، وأنهم يتمتعون بالأمان الشامل، وهذا عهد من النبي محمد ﷺ لأهل مقنا، ذكر في نص معاهدة أهل مقنا "وأن رسول الله ﷺيجيركم مما يجير منه نفسه"[25].

6- **حماية أهل نجران ومنحهم جوار الله ورسوله**، التزم النبيﷺبحماية أهل نجران، ومنحهم حق الجوار، حيث كتب لهم أنهم في جوار الله تعالى وفي جوار الرسول ﷺ ولهم الحماية ما داموا في جوار الله ورسولهﷺ وهذا ليس للنجرانيين وحدهم بل لحاشيتهم وأتباعهم جميعاً، وأموالهم معصومة لا تحل لأحد، وأن أي اعتداء على أموالهم يعتبر اعتداء على أموال المسلمين، ذكر في نص الوثيقة، "ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبيﷺ على أنفسهم وملتهم وأرضيهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وأن لا يغيروا مما كانوا عليه ولا يغير حق من حقوقهم ولا ملتهم ... وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله عز وجل وذمة محمد رسول الله ﷺ أبدا حتى يأتي الله بأمره، ما نصحوا وأصلحوا "[26].

([19]) سورة المائدة، ،الآية٢.

([20]) ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق ص 501.

([21]) المرجع السابق، ص 501.

([22]) ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق، ص 501.

([23]) المرجع السابق ، ص 501.

([24]) الصلابي، علي محمد، (2008م) السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، ط7، دار المعرفة، لبنان، ص 329.

([25]) البلاذري، فتوح البلدان، مرجع سابق، ص 67.

([26]) البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، مرجع سابق، ص 389.

7- **الرفق بأهل الذمة من اليهود والنصارى**، الذين عاشوا تحت كنف الدولة الإسلامية، ولهم عقد ذمة حدد ما لهم من الحقوق وما عليهم من الواجبات، ونظم العلاقة بينهم وبين المسلمين، وكذلك البر والإحسان إليهم والعطف عليهم، سواء كانوا أقارب أم أجانب، ذكر في نص الوثيقة،" وإن يهود الأوس، مواليهم وأنفسهم، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، وإن البر دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وإن الله على ما أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره"[27]،وقال: ﷺ "والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه[28].

8- **إقامة علاقات حسن جوار**، إن علاقات الدولة الإسلامية مع جيرانها من الدول والمجتمعات نشأت على أسس حسن الجوار والمودة والتعاون لخير البشرية جمعاء، وللحفاظ على أمن المجتمعات داخلياً وخارجياً، وإحلال السلام والأمن بين الشعوب والدول المتجاورة، وقد أشار القرآن في الدعوة إلى علاقة حسن الجوار لمن لا يتعرض لنا بأذى من غير المسلمين، قال تعالى:﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[29].

كما أكدت المعاهدة على مبدأ السلم واحترام الآخرين في العلاقات السياسية الخارجية للدولة مع الدول الأخرى، لأن الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم، هي السلم، والحرب حالة استثنائية، شرعت لأسباب دعت إليها،يقول محمد أبو زهرة: "إذا كان الأصل في العلاقات هو السلم فالمعاهدات تكون إما لإنهاء حرب عارضة والعود إلى حال السلم الدائم، أو أنها تقرر للسلم وتثبيت لدعائمه، لكيلا يكون من بعد ذلك العهد احتمال اعتداء، إلا أن يكون نقضاً للعهد"[30].

9- **أعطى النبيﷺالأمان لبني ضمرة على أنفسهم وأموالهم**،وذرياتهم، فلن يسمح النبي ﷺبأخذهامادامواملتزمين بالمعاهدة مع النبي ﷺ، جاء في نص الوثيقة " هذا كتاب من محمد رسول الله لبني ضمرة بأنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم"[31].

10- **السلم الاجتماعي أساس لتحقيق التماسك بين أفراد المجتمع**، وضعت معاهدة حسن الجوار النبوية السلم الاجتماعي أساس لتحقيق التماسك بين أفراد المجتمع وقد تضمنت هذه المعاهدات القيم العظيمة التي جمعت بين الدين وأمور الناس الدنيوية، لما فيها من القيم الإنسانية والعدالة الاجتماعية والتسامح الديني والتعاون على مصلحة المجتمع بكل طوائفه المختلفة، لتؤسس لمجتمع مسالم رافض للظلم والتمييز ، وترسخ لقيم جديدة يتعاون فيها أبناء المجتمع على حفظ الدماء والأموال والأرواح، وبناء علاقات اجتماعية ومد جسور الثقة والترابط بين أفراد المجتمع، فالسلم الاجتماعي يعد الأساس الذي ينطلق منه أفراد المجتمع في تأمين تعايشهم الديني والسياسي والاجتماعي، ومن خلاله يتحقق لهم الأمن والاستقرار والتنمية، وبالسلم المجتمعي تصان الممتلكات ويتم تبادل المنافع، جاء في نص الوثيقة، " وإن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم"[32].

11- **التعاون على دفع الديات وفداء الأسير**، حملت الصحيفة جميع الطوائف مسؤولية التعاون على دفع الديات وفداء الاسير، فقد تكررت عبارة وكل طائفة

([27]) ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق، ص 501.

([28]) البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر، كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، رقم (6016) ، (8/ 10).

([29]) سورة الممتحنة، الآية ٨.

([30]) أبو زهرة، محمد بن أحمد، (1995م) العلاقات الدولية في الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، ص79.

([31]) الشامي، سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، مرجع سابق، ص 14.

([32]) ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق، ص 501.

تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين في بنود الوثيقة عدة مرات، مؤكدة أهمية التعاون والتكافل بين أبناء المجتمع المدني بصفة عامة وأبناء كل طائفة من طوائف المسلمين بصفة خاصة،جاء في بنود الوثيقة أن، "المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون، معاقلهم الأولى، كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين"[33]، فقد ذكرت الصحيفة كل الطوائف التي سكنت في المدينة وحثت كل طائفة على التعاون في ما بينها، فكل فرد لا يستطيع دفع دية أو فكاك أسير، وجب على الجميع التعاون معه حتى يسدد ما وجب عليه، وهذا المبدأ يعد أساساً للتامين الاجتماعي العام، المبني على تكافل الأفراد والجماعات فيما بينها.

12- **منحت معاهدة المدينة اليهود الحقوق الدينية وحرية العقيدة**، وضمنت لهم الحقوق العامة في الأمان وحرية الرأي والحرية الشخصية، ومنحتهم صفت المواطن الذي يتمتع بحقوق المواطنة، بشرط الالتزام بالنظام وعدم التآمر على المسلمين، أن منح اليهود وغيرهم من غير المسلمين الذين كانوا يعيشون في المدينة المنورة تحت سلطة الدولة الإسلامية الحقوق العامة يؤكد مدى سماحة الإسلام وقبوله للأخر وأنهم يتمتعون بحقوق متساوية مع المسلمين، ولهم حرمة الدم والمال والعرض والكرامة الإنسانية، "وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم"[34]، فلا يجبرهم أحد على الدخول في الإسلام قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[35]، فهم أحرار بعد ذلك أن يقبلوا في الدخول بالإسلام أولا، حتى أن عدم دخولهم في الإسلام لا ينقص من حقوقهم شيء.

13- **تحديد مفهوم الأمة**، حددت معاهدة المدينة المتعلقة بحسن الجوار مبدأ مفهوم الأمة، والذي يضم المسلمين بكل أطيافهم مهاجرين وأنصار ومن تبعهم من سكان المدينة، جعلتهم، يخضعون لقانونها ويعيشون على أرضها أمة واحدة، وهذا شيء جديد في تاريخ الحياة السياسية في المنطقة العربية، حيث أخرجهم النبي ﷺ من نظام العصبية القبلية إلى نظام الأمة الواحدة التي تضم كل من اعتنق الدين الجديد، جاء نص البند الأول من معاهدة المدينة، "هذا كتاب من محمد النبي رسول الله بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس"[36].

14-**منع إيواء المجرمين والخارجين عن القانون**، نصت معاهدة المدينة على منع إيواء المجرمين أو الدفاع عنهم أو حمايتهم مهما كان جنسيتهم أو عقيدتهم[37]، لما لذلك من خطر على الأمن العام وإقلاق للسكينة العامة، لذلك نصت الصحيفة على، "وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر مُحدِثًا أو يأويه، وأن من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل"[38]، أي أنه لا يحل لمؤمن آمن بالله واليوم الآخر أن ينتصر لظالم أو يؤويه، ولا يجوز التستر عليه بحجة القرابة أو لمصلحة ما، لأن الظلم محرم وكذلك الإثم من الأعمال التي نهى عنها الإسلام، ولمَ يمثل من خطر على المجتمع وعلى السلم المجتمعي، جاء في نص الوثيقة "وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم"[39]، كما حرم الرسول المدينة ومنع إيواء المحدثين، قال ﷺ: "فمن أحدث فيها حدثا أو آوى فيها محدثا، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا

([33]) المرجع السابق ، ص 501.

([34]) ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق ، ص 501.

([35]) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

([36]) ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق، ص 501.

([37]) الغضبان، منير محمد، (1992م) ،فقه السيرة النبوية، جامعة أم القرى، ط2، (ص: 380).

([38]) ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق ، ص 501.

([39]) المرجع السابق ، ص 501.

عدل"[40]، أي من نصر جانيا وآواه وأجاره من خصمه أو حال بينه وبين أن يقتص منه فعليه لعنة الله أي البعد من الجنة التي هي دار الرحمة [41]،فقد اعتبرت، إيواء المجرمين جريمة تخرج صاحبها من دائرة الإيمان حيث لا يقبل منه فريضة ولا نافلة[42]، وكما قالﷺ: " لعن الله من آوى محدثا"[43]، وقال ﷺ : من آوى محدثا لا يقبل منه صرف ولا عدل[44]، لذلك يجب على جميع أفراد المجتمع في بلادنا العربية والإسلامية الاستفادة من هذه النصوص النبوية في التعامل مع المجرمين ومساعدة رجال الأمن في التبليغ عنهم، حفاظاً على الأمن العام وحماية للمجتمع، وخاصة في ظل انعدام الأمن، وانتشار الجريمة وظهور الجماعات الإرهابية.

15- **تنظيم حركة الساكنين ودخولهم وخروجهم،** نظمت معاهدة المدينة حركة الساكنين في المدينة، فوضعت شروط للدخول والخروج من المدينة، وهذا الإجراء مهم لضبط حركتهم واتصالاتهم، ومراقبتهم من أي نشاط عسكري معادي أو المشاركة في معارك خارج المدينة،أو نقل الأخبار وإفشاء أسرار الدولة الناشئة في المدينة، بما قد يؤثر على الوضع الأمني في المدينة، وقد نصت المعاهدة على، "وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ، وإنه لا ينحجز على ثار جرح؛ وإنه من فتك فبنفسه فتك، وأهل بيته، إلا من ظلم؛ وإن الله على أبر هذا[45]، وبهذا الإجراء الذي وضعه النبيﷺ أراد به معرفة نشاط وتحركات اليهود، وهو إجراء ضروري في الظروف العسكرية الطارئة لحماية أمن الدولة ومنعاً لنقل اخبار الدولة لإعدائها[46].

16- **الإحسان إلى كل من يجاورنا سواء كانوا أفراداً أوشعوباً أو دولاً،** أكدت معاهدات حسن الجوار على الإحسان إلى الجيران وتجنب إيذائهم والالتزام بأخلاق الإسلام في التعامل معهم وعدم إلحاق أي أذى بهم مهما صَغَر، وعدم البغي عليهم أو ظلمهم أو الإساءة إليهم، وترك الأثر الطيب، في نفوسهم؛ لإقامة مجتمع متماسك يحب بعضه بعضا، ويعم فيه الخير للجميع، ولا يقتصر ذلك عل الجار المسلم، بل يجب على الجميع مهما كان جنسه أو دينه، "وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه"[47]، ولم يقتصر حسن الجوار على المعاهدات بل إن المنهج الإسلامي يدعو إلى حسن الجوار، عندما تحدث جعفر بن أبي طالبفي مجلس النجاشي قال: "وأمرنا بحسن الجوار [48]،وعن عائشة رضي عنها، قالت: "إن حسن الخلق، وحسن الجوار، وصلة الرحم يعمرن الديار، ويزدن في الأعمار، وإن كان القوم فجارا" [49]،وحسن الجوار لمن جاورت مسلما كان أو كافرا[50]، وقد أعطى رسول اللهﷺ يهود المدينة أفضل ما يعطي حليف وجار، وجعل لهم أمان الله، وعليهم ميثاقه

([40]) البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر، كتاب الجزية، باب ذمة المسلمين وجوارهم واحدة، مرجع سايق، رقم (3172)، (4/ 100)، ومسلم، المسند الصحيح المختصر، كتاب الحج، باب فضل المدينة، مرجع سابق، رقم (1366) ، (2/ 994).

([41]) القسطلاني، أحمد بن محمد المصري، (1323هـ) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج9، ط7، المطبعة الأميرية، مصر، ص 441.

([42]) الغيتابى، محمود بن أحمد بن موسى(د.ت) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج15، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص 94.

([43]) مسلم، المسند الصحيح المختصر، كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله، مرجع سابق، رقم (1978) (3/ 1567).

([44]) البزّاز، أبو بكر محمد بن عبد الله، (1997م) كتاب الفوائد (الغيلانيات) ، تحقيق: حلمي كامل، دار ابن الجوزي، السعودية، ص 121.

([45]) ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق ، ص501.

([46]) الشعيبي، أحمد قائد، (ديسمبر 2005م) وثيقة المدينة المضمون والدلالة، كتاب الأمة، العدد110، ص 97.

([47]) ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق، ص 501.

([48]) المرجع السابق، ص 336.

([49]) السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد (2000 م) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، حققه: يوسف علي بديوي، ط3، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ص 461.

([50]) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ج2، دار المعرفة ، بيروت، ص 359.

على أن يكونوا يداً واحدة مع المسلمين على كل من أراد شراً بالمدينة وأهلها، وأن يكونوا هم أنفسهم سلماً للمسلمين لا يغدرون بهم ولا يعينون عليهم أحداً[51]،كما أن لحسن الجوار أثراً كبيراً في إقامة العلاقات الدولية على أساس من العدالة والبر[52]،قال تعالى:﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[53]،قال الطبري: تعدلوا فيهم بإحسانكم إليهم، وبركم بهم، وقيل هم الذين كانوا آمنوا بمكة ولم يهاجروا، فأذن الله للمؤمنين ببرهم والإحسان إليهم[54].

17-**المساواة بين المسلمين ركن أساسي للمجتمع المسلم،** أكدت معاهدات حسن الجوار على تطبيق مبدأ المساواة بين المسلمين، في الحقوق والواجبات، فالمسلم له اعتباره وله حق إجارة من يستجيره، فلا فرق بين رجل أو امرأة في ذلك، نصت معاهدة المدينة في أحد بنودها على، " ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم"، فذمة المسلم محترمة وجواره محفوظ فمن أجار من المسلمين شخصاً، فليس لأحد أن ينتهك حرمة جواره، فالمرأة المسلمة لا تختلف عن الرجل إطلاقا، فلجوارها من الحرمة ما لا يستطيع أن ينتهكه أي إنسان مهما علت رتبته وبلغت منزلته[55]، عندما جاءت أم هاني إلى رسولﷺ قائله:، يا رسول الله، زعم ابن أمي أنه قاتل رجلا قد أجرته فقال رسول الله ﷺ: "قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ"[56]، لقد نالت المرأة في الإسلام جميع حقوقها الإنسانية والاجتماعية، مثل ما نالها الرجل سواء بسواء، وقال رسول الله ﷺ: "المسلمون تتكافا دماؤهم، يسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم"[57].

ومما سبق يتبين لنا أن النبي ﷺقد سعى لتوثيق الروابط الأخوية وتقوية العلاقة بين الجيران لإيجاد مجتمع مترابط، على مبدأ حسن الجوار والتعايش السلمي والقبول بالأخر، كما اعتبر فيه الطواف الموجودة في المدينة من سكان الدولة لهم كافة الحقوق وحرية العقيدة، ومنحهم حق الجوار والتزم بحمايتهم ، وجعلهم يخضعون لسلطة واحدة ودستور واحد وعاهد القبائل على ساحل البحر لضمان حماية القوافل وتأمين الحدود الشمالية لعاصمة الدولة.

ثالثاً: أثر معاهدات حسن الجوار.

عقد النبي محمد ﷺ عدداً من معاهدات حسن الجوار؛مع القبائل المجاورة لعاصمة الدولة الإسلامية، وذلك؛ لإيجاد حالة من الصداقة والود وحسن الجوار وعدم الاعتداء، كما عاهد القبائل على ساحل البحر؛ لتأمين الحدود الشمالية وحماية الطرق التجارية والممرات المائية، وكانت هذه المعاهدات وسيلة فعالة لضمان السلم وتدعيم الأمن وتوفير الحقوق للإنسان، وبما يعود بالنفع على المسلمين وعلى البشرية عامة[58].

لقد كان الأثر المهم لمعاهدات حسن الجوار التي أبرمها النبي محمد ﷺ مع الملل والقبائل داخل وخارج المدينة المنورة، تقرير مبدأ حسن الجوار والتعايش

([51]) الجدع، أحمد عبد اللطيف (1987م) فدائيون من عصر الرسول، ط5، دار الضياء، الاردن، ص 68.

([52]) ابن حميد، صالح بن عبد الله، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، ط4، ج1، جدة، دار الوسيلة، جدة، ص 87.

([53]) سورة الممتحنة، الآية ٨.

([54]) الطبري، محمد بن جرير، (2001م)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن، ط1، ج22، دار هجر، ص571.

([55]) البوطي، محمد سعيد رمضان، (1426ه) فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة، دار الفكر دمشق، ط25، (ص: 153).

([56]) البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر، كتاب الجزية، باب أمان النساء وجوارهن، مرجع سابق (4/ 100)، مسلم، المسند الصحيح المختصر، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى، (1/ 498).

([57]) أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق، سنن أبي داود المحقق: محمد محيي الدين، المكتبة العصرية، بيروت (3/ 80).

([58]) الهاشمي، جنيد أحمد، (2013م) ، معاهدات الرسول محمد ﷺ دراسة الأبعاد الإنسانية (ص380).

السلمي،وتنظيم العلاقات بين المجتمع المسلم الجديد نفسه، وبينه وبين الكتل البشرية التي تعايشت في المدينة مثل اليهود، قال ابن سويلم: "هذه هي الوثيقة التي وضعها نبينا محمد ﷺ منذ قرابة أربعة عشر قرنا؛ وهي وثيقة جديرة بالإعجاب حقا، وثق فيها ما بين المهاجرين والأنصار من إخاء وحلف، وقرر فيها حرية العقيدة لغير المسلمين، وحرية الرأي، وحرمة المدينة، وحرمة الحياة، وحرمة المال، وبذلك سبق النبي ﷺ إلى تقرير حقوق الإنسان من هذا الزمن البعيد، وقرر فيها أيضا تحريم الجريمة والإثم والغدر والخديعة، وهي فتح جديد حقا في الحياة السياسية والمدنية في هذا العالم يومئذ"[59].

وبإبرام هذه المعاهدات وإقرارها صارت المدينة المنورة دولة وفاقية رئيسها الرسول ﷺ وصارت المرجعية العليا للشريعة الإسلامية، وصارت جميع الحقوق الإنسانية مكفولة، كحق حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر، والمساواة والعدل، وأصبح كل من المسلمين واليهود في أمن من جانب الاخر، وأصبح اليهود ملزمين بمعاونة المسلمين إذا ما داهم المدينة عدو، وبعدم مساعدة المشركين ومناصرتهم ضدهم[60].

لقد كانت نظرتهﷺ بعيدة حيث استطاع بهذه المعاهدات أن يضمن حياد اليهود ومشركي المدينة في الصراع المتوقع حدوثه بينه وبين قريش وحلفائها، ويضمن تامين الحدود والممرات مع القبائل خارج المدينة من أي اعتداء، ليعيش المسلمون مع جيرانهم في تعاون وحسن جوار يلتزم كل طرف بما تعاهد عليه ويعم الآمن والسلام المنطقة، يتفرغ للسياسة الخارجية للدولة، وكسب الحلفاء، وإشعار أعداء الدولة الإسلامية بأن المسلمين أقوياء[61].

وبإبرام هذه المعاهدات، وإحاطة جميع القبائل بها يكون قد تم تحديد مسار لجميع سكان المدينة، وسكان القبائل المجاورة ومعرفة كل فرد ما له، وما عليه، وبهذا بدأت الملامح السياسية لدولة المدينة تترسخ، وتخضع لحكم تشريع واحد هو الإسلام، ويقودها إمام واحد هو رسول الله ﷺ والكل فيها مواطنون يتمتعون بحقوق المواطنة، وعليهم واجباتها، وبذلك تم تنظيم المجتمع في المدينة، وأصبح الطريق مفتوحا لنشر دعوة الله في كل مكان[62]، وكذلك مثلت الوثيقة نظاما متكاملا للعلاقات الخارجية مع القبائل والشعوب والدول وهو ما اصطلح عليه فيما بعد بالقانون الدولي العام[63].

لقد أحاطت وثيقة المدينة بجميع أمور الدولة الإسلامية، من تنظيم للعلاقات الداخلية والخارجية، حيث يعد أول نظام مكتوب قامت على أساسه الدولة الإسلامية منذ بداية تكوينها، كما يمثل تطوراً في مفاهيم السياسة، فهذه أول مرة في الجزيرة العربية تقوم جماعة على نظام غير نظام القبيلة، وعلى غير أساس رابطة الدم، فقد انصهرت الأوس والخزرج في جماعة الأنصار، كما انصهر المهاجرون والأنصار في جماعة المسلمين، كما ترابط المسلمون مع اليهود الذين يعيشون معهم في المدينة، في اتحاد جديد يحكمه القانون لأول مرة [64].

لقد أشاعت الوثيقة النبوية السلام بين سكان المدينة وقضت على الخلافات والصراعات التي كانت في المدينة بين الأوس والخزرج من جهة اليهود من جهة أخرى، وجعلتهم أمة وأحده، ونظمت الوثيقة العلاقة بين قبائل المدينة جميعاً، وفي إطار قبول الجميع لحكم الله ورسوله ﷺ الذي يضمن لكل شخص دينه وكرامته

([59]) ابن سويلم، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، مرجع سابق (2/ 59).

([60]) العمري، بريك بن محمد، (1417هـ – 1996م) السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة، دار ابن الجوزي، ط1، (ص: 74).

([61]) العمري، السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة، مرجع سابق (ص 74).

([62]) غلوش، أحمد، (1424هـ– 2003م) السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، مؤسسة الرسالة، ط1، (ص: 123).

([63]) الشعيبي، أحمد قائد، (ديسمبر 2005م) وثيقة المدينة المضمون والدلالة، كتاب الأمة، العدد110، (ص17).

([64]) الشعيبي، أحمد قائد، وثيقة المدينة المضمون والدلالة، كتاب الأمة، مرجع سابق (ص37).

وحريته، كما حددت الوثيقة العلاقة مع قريش بأنها علاقة عداء فلا يجوز لأحد أن يجير تجارة لقريش.

أن معاهدات النبي ﷺالمتنوعة مع القبائل الكثيرة كانت لإشاعة التراحم والتآلف بين الأجناس وإقرار السلم في الأرض حيث أثبت ﷺ فيماعقد من المعاهدات أنه عامل الطرف الآخر معاملة حسنة وكان من شأنه أن لم يستبد ولم يمل الشروط بدافع الانتقام والغيظ والغرور بقوته وكان إذا عاهد مع المغلوبين عاهد كريما فأقره ممولا سيما على عقائدهم وشعائرهم وأمر برعايتهم والمحافظة على أموالهم ووفر لهم حرية في ممارسة الشعائر الدينية، الأمر الذي يعتبر ضرورة من ضرورات الحياة على هذه الأرض، للحفاظ على سلامة كيان الإنسانية والحرص المشترك على البقاء الكريم فوق هذا الكوكب بأمن وسلام واطمئنان، "وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصر عليهم"[65]، وقال تعالى:﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[66].

دعا الإسلام إلى تقوية الروابط بين الأفراد والشعوب ولا سيما روابط حسن الجوار، ولم تقتصر هذه الروابط على الجار في المسكن، بل تعدت إلى الروابط بين القبائل والممالك والدول، فمتى ما قويت روابط حسن الجوار بين الدول والشعوب عظمت مكانتها وقوي شأنها واستقرت أوضاعها في جميع المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية...، لأن مشاكل الحدود والجوار بين البلدان سبب في تدمير الأمم وإزهاق الأرواح واستنزاف الاقتصاد، وتدمير البنية التحتية، وانعدام الأمن، وتقويض روابط الجوار، فما أحوجنا اليوم إلى الاقتداء بنبينا محمدﷺ الذي سعى إلى إقامة علاقات حسن جوار وعدم اعتداء مع القبائل والممالك المجاورة للمدينة بل تعداها الى البلدان البعيد، وذلك من خلال معاهداته ورسائله التي بعث بها إلى الملوك والأمراء، عن أنس بن مالك: "أن نبي الله ﷺكتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى"[67]،وبهذه الوثيقة تكون قد ضبطت العلاقة بين أبناء المجتمع المدني جميعهم مؤمنهم ومشركهم ويهوديهم[68].

يتضح مما سبق حرص نبينا ﷺ، على تكوين مجتمع مترابط متحاب متسامح يتعايش فيه الجميع، المسلمون في ما بينهم والمسلمون مع غيرهم في جو من الألفة والمحبة والتراحم والتكافل وحسن الجوار، سواء كانوا أفراداً أو جماعات أو دولاً، وحرصاً على سلامة النسيج الاجتماعي والسلم المجتمعي الوطني أو الدولي سار المسلمون على هدي النبي ﷺ في التعايش السلمي وأحسنوا إلى جيرانهم وعاملوهم معاملة حسنة، وقد أثرت هذه المعاملة وهذا التجاور الحسن في المجتمعات والشعوب الأخرى ودخل الكثير منهم في الدين الإسلامي، فما أحوج المجتمعات الإسلامية اليوم لأخذ الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة بمنهج الرسول ﷺ وصحابته الكرام، في حسن التعامل مع الجيران سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، مستقيمين أو غير مستقيمين، فهم بشر يجب معاملتهم بالعدل والحق والصدق.

الخاتمة:

توصلت الورقة إلى عدد من النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

1- أن الرسول ﷺ قد عقد عدداً من معاهدات حسن الجوار مع القبائل والملل داخل وخارج المدينة المنورة وذلك لتقوية الروابط الأخوية وتقوية العلاقات بين الجيران، وتحقيق مبدأ المواطنة لسكان المدينة بمختلف دياناتهم.

2- إن المسلمين تعايشوا مع جيرانهم من اليهود والمشركين، وهل مقنا وأهل نجران وبني ضمرة. وأن النبي قد منحهم

([65]) ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق (1/ 501).

([66]) سورة سبأ (آية ٢٨).

([67]) مسلم، المسند الصحيح المختصر، في كتاب الجهاد والسير، باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل، مرجع سابق، رقم (1774)، (3/ 1397).

([68]) حوّى، سعيد (1416هـ - 1995م) الأساس في السنة وفقهها - السيرة النبوية، دار السلام، ط3، ، (1/ 407).

حق الجوار وضمن حمايتهم ونصرتهم ما داموا ملتزمين بالعهد وضمن لهم حرية العقيد والشعائر الدينية واعترهم مواطنين من سكان الدولة الإسلامية ولم يتعرضوا لأي تمييز.

3- حددت المعاهدات أن سكان المدينة أمة واحدة يخضعون لقوانينها، بعيداً عن نظام القبيلة، وجعلت للمدينة سلطة حاكمة واحده هو النبيﷺ وذلك لمنع تعدد السلطات والاختلاف، كما نصت على مبدأ الاحسان إلى الجيران سواء كانوا افراداً أو طوائف أو دولاً، مسلمين أو كافرين.

4- كانت معاهدات حسن الجوار وسيلة فعالة لقيام علاقات حسن جوار مع القبائل المجاورة حيث نظمت العلاقة الداخلية بين سكان المدينة والعلاقات الخارجية مع القبائل والدول الأخرى، وقضت على الخلافات والصراعات التي كانت قبل الإسلام، وأشاعت التراحم والإلفة بين الجميع.

التوصيات

1. ضرورة إجراء مزيد من الدراسات للمعاهدات النبوية والاستفادة منها في حياة المسلمين.
2. تطبيق مبدأ حسن الجوار بين أفراد المجتمع المسلم مع غيرهم من الدول والشعوب لوقف الصراعات والحروب العبثية.
3. إقامة علاقات حسن جوار مع الدول المجاورة على المحبة والسلام والتعايش مع الأمم الأخرى.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

1. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، (1414ه)، لسان العرب، ط، ج4،3دار صادر، بيروت.
2. الزلفي، محمد بن إبراهيم الحمد، (1417ه) التقصير في حقوق الجار.
3. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، (1379ه)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقمه، محمد فؤاد عبد الباقي،ج10، دار المعرفة ، بيروت.
4. مختار، أحمد، (2008م)، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج1، عالم الكتب.
5. مصطفى، إبراهيم، (د.ت) المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة.
6. السهلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، (2000م) الروض الأنف، المحقق: عمر عبد السلام، ط1، ج4، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
7. ابن سويلم، محمد، (1427ه) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، ج2، ط8، دار القلم ، دمشق.
8. الزبيدي، محمد بن محمد، (1414ه) تاج العروس، ج10، دار الهداية.
9. ابن هشام، عبد الملك بن هشام الحميري، (1955م) السيرة النبوية، تحقيق، مصطفى السقا، ج1، ط2، مطبعة مصطفى الحلبي بمصر.
10. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، (1405ه) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ط1، ص5، دار الكتب العلمية، بيروت.
11. جواد، علي، (2001م)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط4، ج12، دار الساقي.
12. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، (1988م) فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
13. الشامي، محمد بن يوسف، (1993م)، سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، ط1، ج4، دار الكتب العلمية، لبنان.
14. البخاري، محمد بن إسماعيل، (1422ه) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه، المحقق: محمد زهير، د.ن.
15. مسلم، مسلم بن حجاج، المسند الصحيح المختصر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
16. ابن حنبل، أحمد بن محمد (2001 م) مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، ط1، ج1، مؤسسة الرسالة.
17. الصلابي، علي محمد، (2008م) السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، ط7، دار المعرفة، لبنان.

18. أبو زهرة، محمد بن أحمد، (1995م) العلاقات الدولية في الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة.
19. الغضبان، منير محمد، (1992م) ،فقه السيرة النبوية، جامعة أم القرى، ط2.
20. القسطلاني، أحمد بن محمد المصري، (1323ه) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج9، ط7، المطبعة الأميرية، مصر.
21. الغيتابى، محمود بن أحمد بن موسى(د.ت) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج15، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
22. البزَّاز، أبو بكر محمد بن عبد الله، (1997م) كتاب الفوائد (الغيلانيات) ، تحقيق: حلمي كامل، دار ابن الجوزي، السعودية.
23. الشعيبي، أحمد قائد، (ديسمبر 2005م) وثيقة المدينة المضمون والدلالة، كتاب الأمة، العدد110.
24. السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد (2000 م) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، حققه: يوسف علي بديوي، ط3، دار ابن كثير، دمشق، بيروت.
25. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ج2، دار المعرفة ، بيروت.
26. الجدع، أحمد عبد اللطيف (1987م) فدائيون من عصر الرسول، ط5، دار الضياء، الاردن.
27. ابن حميد، صالح بن عبد الله، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، ط4، ج1، جدة، دار الوسيلة، جدة.
28. الطبري، محمد بن جرير، (2001م)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن، ط1، ج22، دار هجر.
29. البوطي، محمد سعيد رمضان، (1426ه) فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة، دار الفكر دمشق، ط25،
30. أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق، سنن أبي داود المحقق: محمد محيي الدين، المكتبة العصرية، بيروت
31. الهاشمي، جنيد أحمد، (2013م) ، معاهدات الرسول محمد ﷺ دراسة الأبعاد الإنسانية د.ن.
32. العمري، بريك بن محمد، (1996م) السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة، دار ابن الجوزي.
33. غلوش، أحمد، (2003م) السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، مؤسسة الرسالة.
34. حوّى، سعيد (1995م) الأساس في السنة وفقهها – السيرة النبوية، دار السلام.